الباب الخامس

السقوط وعوامله

obeikan.com

obeikan.com

عوامل سقوط الأندلس

إن قصة سقوط الأندلس قصة مؤلمة جداً؛ تؤلمنا أحداثها، وتؤلمنا أرواح الأعداد الهائلة من الشهداء الذين سقطوا على أرضها، وتؤلمنا النساء اللواتي انتهكت أعراضهن، والخونة الذين خانوا أمتهم من بني جلدتنا، ويؤلمنا أننا فقدنا بفقدها تاريخاً عريقاً ومجداً تليداً، ونحن نعلم أن هذا المجد وذاك التاريخ قد انتهى وضاع، وصارت الأندلسُ الفردوسَ المفقود إلا أنه لا بد من قراءة هذا التاريخ والمجد وكيف ضاع، وكيف سلب منا، وكيف سقطت حضارة الأندلس بعد بناء دام قروناً عديدة وبقراءتنا لتاريخ الأندلس، سنصل إلى نتيجة مهمة ونافعة للأمة في حاضرها ومستقبلها؛ نتيجة كيف تقام الأمجاد وكيف تسقط، وكيف تبنى الحضارات وكيف تهدم. إن تاريخ الأندلس بصفحاته الطويلة تظهر فيه سنن الله في النصر والهزيمة والقيام والسقوط جلية واضحة وفيه من الدروس والعبر الكثير الكثير ويمكن إجمال أهم سنن سقوط الأندلس فيما يلي:

1- حب الدنيا وكراهية الموت:

حقق طارق بن زياد وجنوده نصراً مؤزراً في وادي بَرْبَاط، حيث انتصر المسلمون وهم 12 ألفاً على 100 ألف من أعدائهم الفرنجة ثم أخذ طارق بن زياد جيشه بعد انتهاء المعركة مباشرة واتَّجه شمالاً؛ لفتح بقيَّة بلاد الأندلس، ففتحها بإذن الله وعونه ونصره لما كان معتزاً بدين الله لا باليهود والنصارى، وكان همه نصرة الإسلام لا العصبية وشهوة السلطة وحب الدنيا، وكان جيشه وجنوده صفاً واحداً لا متفرقين شذر مذر.

لكن هذا النصر الذي حققه طارق وبعده يوسف بن تاشفين وغيرهما لم يحافظ عليه الذين ملكت شهوة الحكم عليهم كيانهم، وصارت أغلى أمانيهم، ولو قدموا شعوبهم وأرضهم فداء لها وكان الاستغراق في الترف والتبذير والركون إلى الدنيا وملذاتها وشهواتها ومغرياتها، والخنوع والدعة والميوعة، والفسق والفجور وحب الدنيا وشهوة السلطة؛ أول العوامل التي أدَّت إلى تلك النهاية المؤلمة للأندلس بلاد العلم والفقه والحضارة ، ولآخر معاقلها غرناطة، وقد ارتبطت فترات الهبوط والسقوط بكثرة الأموال والانغماس في الملذات، والميوعة الشديدة في شباب الأمة، والانحطاط الكبير في الأهداف.

لقد أصاب أمتنا في الأندلس من العقاب الإلهي ما جعلها فردوساً مفقوداً، ولم تنتبه لتحذير نبيها صلى الله عليه وسلم لها من العقاب الذي سيصيبها عندما تتنكب عن سنن الله، وتحيد عن منهاجها المستقيم، بحبها الدنيا مناط البلاء وكراهيتها الموت؛ فعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ وهذا مثَالٌ لاَ أبلغَ منه في تصوير تفكك الأمة، وانفراط عقدها، وخفة وزنها، وَهَوَان قيمتها، وانسياحها في مجاري التبعية الفكرية والسياسية، وتكالب أعدائها عليها من جراء ما كسبت أيديها.

لهذا جمع الله لنا في سياق آية من سورة آل عمران أربعة أمراض وأدواء مترابطة بعضها يغذي بعض؛ مما يكون سبباً للهزيمة والوبال، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ

الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْـمُؤْمِنِينَ}.

هذه الأمراض كما هي مذكورة في الآية هي:

أولاً: الفشل (فشل الأمير أبو عبد الملك الصغير ثم فشل بفشله جنده ومن معه).

ثانياً: التنازع في الأمر (تنازع ملوك الطوائف على السلطة والإمارة فقسموا الأندلس قطعاً).

ثالثاً: العصيان(عصيان أوامر الله تعالى ورسوله الذي أمر بالوحدة والاعتصام بحبله والجهاد لحماية ثغور الأمة، والشورى).

رابعاً: حب الدنيا؛ أصل البلاء ومناطه، وسبب كل خطيئة (لقد كان هم أمراء الأندلس الحفاظ على كراسيهم وسلطتهم ولو قدموا أعناق شعبهم وأراضيهم ثمناً لذلك).

فلما توافرت هذه الأمراض في الأندلس، كانت الهزيمة والسقوط، وفقدنا خير البلاد المسلمة في العالم.

2- الذنوب والمعاصي:عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ! خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَؤُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ،وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلاَّ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ ولقد نقض أمراء الأندلس عهد الله وعهد رسوله وخانوا أمتهم وتفرّقوا وتشتتوا وتمزقوا وتنازعوا على السلطة والحكم، وتقاعسوا عن الدفاع عن حمى الإسلام وأهله، ولازموا الذنوب والمعاصي والمهلكات؛ فحق عليهم القول رغم كثرة عددهم؛ إذ جيش المسلمين لا يُنصَر بالقوة ولا بالعدد والسلاح، لكنه يُنصر بالتقوى.

3- توحد الأعداء وتمزق المسلمين صفاً وقلوباً: إن الخلاف والتنازع لا يعطي ثماراً ولا يحقق نصراً ولا يرهب عدواً، فهو مرض خطير عاقبته سيئة ونتائجه وخيمة، ولهذا حذرنا الله تعالى من هذا الجرثوم الخبيث،

وقدم الأمر بطاعة الله ورسوله على النهي عنه، مما يجعلنا نلمح أن العاصم من هذا المرض الخطير هو الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

ولله در القائل:

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا أفراداً

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت آحاداً

لكن أمراء الأندلس لما أفلت حبل الفطرة من يدهم، وارتخت أيديهم عن عروة القرآن؛ تمزقوا شيعاً، وتقطعوا زُبراً، وتعمق الخلاف بينهم، وعاشت الأندلس بعد نهاية الدولة العامرية في تمزق وتشتت، وتحولت إلى ممالك وإمارات وصلت إلى 22 إمارة، كل واحدة مستقلة عن الأخرى، وأصبحت فيما يسمى ملوك الطوائف، واتسع شرخ الخلاف والفرقة بينهم، بل استعان بعضهم بالأعداء في الصراع مع إخوانه، وقدم تنازلات من حصون ومدن لعدوه شريطة التغلب على إخوانه، فباع أرضه وخان أمته ووطنه؛ فأضاعوا بلادهم، وأهلكوا أمتهم، وكانوا السبب فيما حل بها من الفتك والقتل والاستعباد والطرد والقتل بأبشع الوسائل الهمجية والوحشية.

4- التقاعس والتقاعد عن الجهاد في سبيل الله لحماية الثغور وحماية الناس:إن الناظر إلى تاريخ الأندلس قبيل سقوطها ليتساءل: أين أولئك الذين نذروا أنفسهم لله وللدفاع عن حمى دين الله ونصرة المستضعفين؟ أين المجاهد الرباني والقائد الحكيم يوسف بن تاشفين، وأين أبو بكر بن عمر اللمتوني؟ وأين طارق بن زياد وغيرهم؟.

وإنها لعبرة وعظة حين ننظر إلى أمراء غرناطة، ومَنْ كان على شاكلتهم حين ذُلّوا وأُهينوا لَما تركوا الجهاد في سبيل الله والدفاع عن ثغور الأمة.

لهذا أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم مغزى سنة الله في الجهاد وكنهها وأنها ماضية لا تتخلف، فحذر أمته من التخلف عنها وتنكبها: عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلاً لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ».

ألم تحصد هذه السنة الإلهية ملوك الطوائف في الأندلس؟ لما تنكبوها وحادوا عن منهاجها ذلوا وخسئوا وسحب من تحتهم البساط وطردوا من قصورهم أذلة صاغرين.

5- الاعتزاز بغير الله وموالاة اليهود والنصارى:

يقول الله تعالى في الاعتزاز بغيره:{وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا} وهذه سنة إلهية ثابتة: من اعتز بغير الله خذله وجعل عاقبة أمره خسراً ولما اعتز ملوك الأندلس وأصحاب القوة والجاه فيها باليهود والنصارى، تخلف عنهم التوفيق، وأصبحوا في أمر مريج، حتى أسقطوا بموالاتهم لأعداء الله حضارة ثمانية قرون إنه خِذْلانٌ من الله استحق عقابَه شرذمة أرادت العزة في غير الإسلام، فأذلها الله.

6- إسناد الأمر إلى غير أهله: كان إسناد الأمر إلى غير أهله أحد عوامل سقوط الأندلس، وكان ذلك واضحاً جداً، خاصة في ولاية هشام بن الحكم، وولاية الناصر بعد أبيه يعقوب المنصور الموحدي، وأيضاً ولاية جميع أبناء الأحمر حتى آخر ملك منهم، وأبو عبد الملك الصغير.

أسند الأمر إلى الدعة والفسق والفجور والفساد وحب السلطة وموالاة الأعداء على حساب إخوانهم من المسلمين؛ فكانت النتيجة واضحة جداً خسرنا الأندلس بكل ما فيها.

7- الجهل بالدين والتربية على غير مبادئه:

إن الفقه في الدين والتربية الإيمانية يقيان صاحبهما من المهالك والمخاسر والفتن ولقد كان للتفقه في الدين والتربية الإيمانية في الأربطة والمجالس؛ قيمة عظمى زمن عبد الله بن ياسين، حيث ربى أعظم أمير ومجاهد رباني يوسف بن تاشفين فخاض معارك خالدة في الأندلس وأعاد للمسلمين عزتهم ومكانتهم وكرامتهم، كما كان للعلم قيمة كبرى زمن الحَكم بن عبد الرحمن الناصر لكن للأسف انتشر الجهل بالدين بين الناس في نهاية عهد المرابطين، والموحدين، وسادت بين الناس معتقدات غريبة وآراء عجيبة تدل على الجهل المطبق بالدين وأحكامه ومبادئه وتعاليمه وخير مثل على هذا الجهل ما كان من غزو محمد بن الأحمر الأول لأشبيلية، وقد تبعه الناس في ذلك ظناً منهم أنهم على صواب، وأنهم أصحاب رسالة وفضيلة، وأي جهل بالدين أكثر من هذا؟!

8- الاغترار بالكثرة الغثائية:

قال جل وعلا: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} إن الإعجاب بالكثرة هزيمة روحية سبقت الهزيمة في ميدان المعركة وهكذا فإن الاتكال على الأسباب الظاهرة مرض دواؤه

التوكل على الله تعالى، والاعتماد عليه، مع إعطاء الأسباب حقها، بإعداد ما استطعنا من قوة وإنما الأسباب الظاهرة من وضع الله تعالى، فادعاء تخطيها رفضاً للعبودية المضروبة علينا وعلى كل البشر على سواء في هذا الميدان فمن جَدّ وَجَدَ.

9- تغيير النعم:

قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}فلما توحد المسلمون وحكامهم في الأندلس في معاركهم وفي بناء مجتمعهم والتزموا بما أمرهم الله به، وجاهدوا في سبيل الله نصرة لدين الله ونصرة للمسلمين وديارهم؛ صدقهم الله وعده ونصرهم في معارك شتى، واستمرت حضارتهم لقرون متوالية.

ولما خالفوا أمر الله واستكانوا للدعة والمرح والاسترسال في الشهوات وحياة اللهو والعبث، والخلاعة والمجون، وغيروا نعم الله عليهم وتفرقوا شذر مذر؛ حلت بهم الهزيمة والسقوط المريع لذلك؛ لما تغيرت أحوال الناس في الأندلس وأمرائها تغيّر حال الأندلس وسقطت من أيديهم،لذلك يرى المؤرخون: أن الأَنْدَلُسيين ألقوا بأنفسهم في أحضان النعيم ناموا في ظل ظليل من الغنى الواسع والحياة العابثة

والمجون، وما يرضي الأهواء من ألوان الترف الفاجر، فذهبت أخلاقهم، كما ماتت فيهم حمية آبائهم البواسل، وغدا التهتك والخلاعة والإغراق في المجون، واهتمام النساء بمظاهر التبرج والزينة بالذهب واللآلي؛ مِن أبرز المميزات أيام الاضمحلال التي استناموا فيها للشهوات والسهرات الماجنة، والجواري الشاديات وإن شعباً يهوى إلى هذا الدرك من الانحلال والميوعة لا يستطيع أن يصمد رجاله لحرب أو جهاد لقد دخل المُسْلِمُون الأندلس وأعلوا راية الإسلام فيها لما كان نشيد المجاهد القائد البطل طارق بن زياد في العبور الله أكبر، وبقوا فيها زمناً حين كان يحكمها أمثال عبد الرحمن الداخل عندما أهديت له جارية جميلة نظر إليها وقال: إن هذه لمن القلب والعين بمكان، وإن أنا لهوت عنها بمهمتي فيما أطلبه ظلمتها، وإن لهوت بها عما أطلبه ظلمت مهمتي، فلا حاجة لي بها الآن.

وعندما قُدم إليه الخمر ليشرب قال:إنِّي محتاج لما يزيد في عقلي لا ما ينقصه وضاعت حضارة الأندلس من يدي المُسْلِمِين عندما كان نشيدهم:

دوزن العود وهات القدحا راقت الخمرة والورد صحا

وعندما قصد الإفرنج بلنسية لغزوها عام 456هـ، خرج أهلها للقائهم بثياب الزينة، فكانت وقعة بطرنة التي قال فيها الشاعر أبو إسحاق بن معلي: لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستم حُلَلَ الحرير عليكم ألواناً

ما كان أقبحهم وأحسنكم بها لو لم يكن ببطرنة ما كانا

ضعفت همم المسلمين، وتنافسوا الدنيا ومغرياتها؛ فسلبت ديارهم، وانتهكت أعراضهم وانظروا إلى حال الدنيا وتلاعبها بأصحابها لما تنافسها الأمراء والملوك من أجل إسعاد جواريهم وزوجاتهم ما فعلت الدنيا بالمُعْتَمِد بن عباد لما اشتهت إحدى زوجاته أن تمشي في الطين وتحمل القِرَب، فأمر ابن عَبَّاد أن ينشر المسك على الكافور والزعفران، وتحمل قرباً من طيب المسك وتخوض فيها؛ تحقيقاً لشهواتها!.

لكن دوام الحال من المحال، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين؛ فانقلبت الموازين وفق سنة الله الخالدة،فسيق ابن عباد أسيراً إلى أغمات وحبس هناك وزال عنه نعيم الدنيا وعن أهله، وتحولت بناته من سيدات إلى غزالات(الغزالة من تقوم بغزل الخيط والجمع غزالات) للناس ليضمنّ قوت يومهن.

10- تداول الأيام بين الناس:

لقد جعل الله تعالى مداولة الأيام بين الناس من سننه في المجتمعات، فقال تعالى: {وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا} ، ليميز سبحانه صادق الإيمان من المدعي، وينكشف النفاق المدسوس المتقاعد لذلك؛ فإن هذه المداولة أو التداول يقع ضمن سنن الله في عباده؛ فمن شمر عن ساعد الجد وأخذ بأسباب النصر ومقوماته دالت له الأيام، ومن نكص عنها كما نكص أهل الأندلس دالت عليه الأيام، وربنا تبارك وتعالى لا يظلم أحداً.

11- الفشل والهزيمة النفسية:

الفشل والهزيمة المعنوية مرض خطير، وعرض من أعراض الفرقة والخلاف وحب الدنيا، وطريق للهزيمة المادية والعسكرية لذلك؛ لما أعلن الملك الصغير أمام جنده وحاشيته ووزرائه أنه يفكر في الاستسلام، زادهم فشلاً على فشل وهزيمة على هزيمة، ووافقوه على الاستسلام إلا وزيره موسى أبى الاستسلام للعدو الفرنجي وتقديم مفاتيح آخر قلعة من قلاع الأندلس على طبق من ذهب للعدو الغاصب.

12- الغفلة عن الله:

يقول الله تعالى يحذرنا من مغبة الغفلة عنه: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} ولا أدل من غفلة أهل الأندلس

عن الله والدار الآخرة من انشغالهم بعمارة القصور والتفنن في زخرفتها وبنائها والتنافس فيها، وأشعار الغزل والرقص والترف والتبذير والمجون نسوا الله فأنساهم وتركهم لما انشغلت به أنفسهم عنه حتى كان تدميرهم تدبيرهم.

13- حب الرئاسة:

إنه ليس هناك ضرر على قلب المرء ودينه من حبه الرئاسة والجاه، ولنا في تاريخ الأندلس دليل على ما ينتج عن هذا المرض من نتائج وخيمة وعواقب سيئة. لما دبت روح حب الرئاسة في قلوب أمراء المسلمين بالأندلس وتركوا أمر دينهم وراء ظهورهم؛ انقسموا إلى طوائف وتفرَّقوا في بلاد الأندلس، ففتك بهم عدوهم بما تشق له المرائر، وتتفتت الأكباد، وتقشعر من هوله الجلود والأبدان.

هذا ومن المعلوم أن خطورة هذا المرض قد تصل إلى سفك الدماء، وانتهاك الحرمات، واتهام الأبرياء، وهذا ما وقع في تاريخ المسلمين عامة وفي تاريخ الأندلس خاصة، فكم من أخ قتل أخاه أو أباه أو عمه أو خاله؟ وكم من أخ تحالف مع عدوه ضد أخيه أو أحد أقاربه؟ من أجل حطام الدنيا الفانية، وحرصاً على مغرياتها الزائلة، وصفحات كتب التاريخ مليئة بذلك وشاهدة على خطورة هذا الداء العضال.

14- الظلم:

الظلم ليس سبباً من أسباب الهزيمة والسقوط فحسب، بل هو سبب من أسباب هلاك الأمم وسقوط الدول وانهيار الحضارات وتغيّر الأحوال فملوك الطوائف اجتمعت فيهم كل أنواع الظلم؛ ظلموا أنفسهم لما غرقوا في حب الدنيا وملذاتها وشهواتها، وظلموا ما بينهم وبين ربهم لما تقاعسوا وتقاعدوا عما افترضه عليهم من فرائض وأوجبه من واجبات وحرمه من محرمات وفواحش وبخل وتبذير، وظلموا رعيتهم في الأرزاق وفي الحماية والدفاع عنها، وخانوا أرضهم لما قدّموها سهلة لعدوهم، وظلموا الأجيال قبلهم لما أضاعوا ما شيدوه وبنوه على مدار 800 عام، وظلموا الأجيال بعدهم لما لم يحافظوا على الأمانة ولم يؤدوها إلى أهلها.

15- التخاذل والنفاق والخيانة:

إن وجود المتخاذلين والمنافقين والخائنين في صف المجاهدين لا مناص منه، وكتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم مليئان بالتحذير من هذه العناصر المريضة، وواجب الأمة أن تأخذ حذرها منهم وإذا ظهر منهم ما يسوؤها وجب أن تطهر صفوفنا منهم حتى لا يكونوا منفذاً للهزيمة والوبال وفي فترات ضعف الأندلس إلى سقوطها كان من أسباب

ذلك كثرة الخيانات والتخاذل فهذا الإمام أبو الوليد الباجي يدعو ملوك الطوائف إلى الوحدة لمواجهة الخطر النصراني الذي يهدد وجود المسلمين في الأندلس، لكنهم رغم ترحيبهم به وبدعوته تخاذلوا عن الدفاع عن حمى المسلمين؛ لأن حب الدنيا الذي تربع على عرش قلوبهم أصمهم وأعمى أبصارهم، وزادت النزاعات بينهم حتى وصلت إلى القتال، مما دفع بأعدائهم للتجرؤ عليهم واستباحة أراضيهم وأعراضهم، فهاجم فردلند مدينة بازو فقتل أهلها وانتهك أعراضها وأخذ الباقي أسرى سنة 449هـ بل وصلت الخيانة ببعضهم إلى أن رأى إخوانه والعدو يحاصرهم لايحرك ساكناً ويرفض نصرتهم ومساعدتهم، كما وقع لما راسل المظفر بالله أخاه المؤيد بالله،بل أرسل إلى كل دويلات الأندلس يطلب المدد وفك الحصار عن المسلمين، لكن للأسف لم يجبه أحد، بل دل أحد الخائنين العدو الفرنسي على مصدر الماء الذي يروي عطش المسلمين فقطعوه عنهم فاشتد العطش بهم، فاقتحم الفرنسيون الكاثوليك والنورمان النصارى مدينة بربشتر فاستباحوها وقتلوا بين 40 ألفاً و100 ألف من أهلها، وهتكوا الأعراض أمام محارمها وأهلها، وأصبح كل أهل المدينة عبيداً للمحتل بعدها.

ثم جاء دور ما تبقى من حصون الأندلس؛ جاء دور غرناطة، وجمع فرديناند جموعه للتوجه نحو غرناطة، فظهرت خيانة جديدة من أبي عبد الله محمد الثالث عشر المعروف بالزغل لابن أخيه الملك أبي عبد الله الصغير طمعاً في الملك، فكان سبباً في إضعاف المملكة وجعلها فريسة لمملكتي قشتالة وأرجون لكن جرت الرياح بما لم تشتهه السفن، فأهل غرناطة له كارهون وباسم ابن أخيه يهتفون، فما كان منه إلا أن أخذ أمواله وحشمه وخدمه متوجهاً إلى المغرب ليعيش عيشة هنية بما أخذه معه من مال وجوار وخدم، لكن حاكم فاس سرعان ما ألقى القبض عليه وجرده من كل ما يملك، فسملت عيناه وألقي به في السجن ثم أطلق سراحه بعد ذلك، فعاش متسولاً منبوذاً حتى مات واشتد الحصار على غرناطة واستسلم الملك الصغير ومن معه من قادة الجيش وعلماء السوء إلا وزيره موسى الشهم فكان استشهاد موسى بن أبي غسان وتسليم الملك الصغير غرناطة للملكين فرناندو الخامس وإيزابيلا إيذاناً بانتهاء عصر حكم المسلمين في غرناطة، وبسقوطها ينتهي حكم المسلمين بالأندلس.

أعطى أبو عبد الله محمد الثاني عشر الموافقة بالتسليم، ولم ينسَ أن يرسل إليهما بعضاً من الهدايا الخاصة، وبعد التسليم بأيام يدخل الملكان

في خيلاء قصر الحمراء الكبير ومعهما الرهبان، وفي أول عمل رسمي يقومون بتعليق صليب فضي كبير فوق برج القصر الأعلى، ويُعلن من فوق هذا البرج أن غرناطة أصبحت تابعة للملكين الكاثوليكيين، وأن حكم المسلمين قد انتهى من بلاد الأندلس.

خرج آخر ملوك المسلمين أبو عبد الله محمد بن الأحمر الصغير من القصر الملكي في نكسة كبيرة وفي ذل وصغار، يسير بعيداً في اتجاه بلدة أندرش، حتى وصل إلى ربوة عالية تُطل على قصر الحمراء يتطلع منها إليه، وإلى ذاك المجد الذي ولَّى، وبحزن وأسى قد تبدّى عليه لم يستطع فيه الصغير أن يتمالك نفسه، انطلق يبكي حتى بللت دموعه لحيته، حتى قالت له أمه عائشة الحرة: أجل؛ فلتبكِ كالنساء مُلْكاً لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال.

وإلى هذه اللحظة ما زال هذا التل الذي وقف عليه الصغير في أسبانيا، وما زال الناس يذهبون إليه يتأمَّلون موضع هذا المَلِك الذي أضاع مُلكاً أسسه الأجداد، ويُعرف هذا التل بـزفرة العربي الأخيرة، وهو بكاء أبي عبد الله محمد الصغير حين ترك ملكه فكان سقوط الأندلس في الثاني من شهر ربيع الأول سنة 897هـ = 2 من يناير سنة 1492م وقد مر على سقوطها 538 سنة.

السقوط

يعتبر سقوط الأندلس من أكثر اللحظات مرارة في تاريخ العرب والمسلمين، ولم يأت سقوطها من فراغ، فبعد أن مرت هذه الدولة بمرحلة القوة والعظمة والتألق والازدهار والعطاء والانتاج، بدأت تضعف تدريجياً، فبعد ضعف الدولة الأموية في الأندلس، وبداية حقبة ملوك الطوائف أخذت الحياة في الأندلس منحى آخر، حيث بدأت الخلافات تدريجياً شيئاً فشيئاً تزداد في هذه المنطقة، حيث أصبح هناك عدة دول وقسمت دولة الأندلس إلى أكثر من عشرين دويلة صغيرة.

وازدادت الأطماع في الأندلس خصوصاً من قبل الأوروبيين الذين ينتظرون اللحظة السانحة حتى ينقضوا على هذه الدويلات ويأكلوا منها شيئاً فشيئاً، إلى أن ظهرت دولة المرابطين حيث بزغ نجم علم من الأعلام في تاريخ المسلمين، وهو الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين الذي استطاع أن يضع حداً للأطماع الأوروبية في هذه الدولة ويضمها إلى دولة المرابطين لتصبح جزءاً منها،فخاض عدة معارك معهم من أشهرها معركة الزلاقة وبعد فترة من الزمن استطاعت دولة الموحدين الانقلاب على دولة المرابطين وإنهائها، وبهذا انتقل حكم الأندلس من دولة المرابطين إلى دولة الموحدين، الذين استطاعوا أيضاً الدفاع عن

الأندلس فترة من الزمن إلى أن سقطت دولة الموحدين في معركة العقاب الشهيرة.

بعد هذا تأسست دولة بني الأحمر في غرناطة، حيث كانت هذه المرحلة الأخيرة قبل السقوط النهائي للدولة الإسلامية في الأندلس، التي تعاقب على حكمها عدة ملوك من بني الأحمر، إلى أن سقطت نهائياً على يد فرناندو الثاني عام 1492 ميلادية سقوط الأندلس هو قصة تصلح لأن تكون عبرة ومثالاً حياً لما يسببه التنازع والفرقة بين الإخوة.

بداية السقوط

ألفونسو الثالث ملك أستورياس وزوجته خيمينا أمر بإنشاء ثلاث سجلات تثبت نظرية أن مملكة أستورياس هي الوريث الشرعي لمملكة القوط الغربيين التي كانت تحكم أيبيريا قبل الفتح الإسلامي.

ويرى المؤرخون الأسبان والمسلمون أنه في 718 بدأت حركة الإسترداد المسيحية في معركة كوفادونجا أو مغارة دونجا وفيها انهزم ابن علقمة اللخمي شر هزيمة من قوات بلايه، وانتهت بتأسيس أولى إمارات الفرنجة في شمال أيبيريا.

معركة بلاط الشهداء

جمع عبد الرحمن الغافقي جيشه وخرج فى احتفال مهيب ليعبر جبال البرانس واتجه شرقاً ليضلل المسيحيين عن وجهته الحقيقية، فأخضع مدينة أرل التي خرجت عن طاعة المسلمين، ثم اتجه إلى دوقية، فانتصر على الدوق انتصاراً حاسماً، ومضى الغافقي في طريقه متتبعاً مجرى نهر الجارون فاحتل بردال واندفع شمالاً ووصل إلى مدينة بواتييه في بداية غزو جنوب فرنسا دققت بها أودو العظيم في معركة تولوز في 721 تراجعت وتجميعهم، تلقى التعزيزات. ولم يجد الدوق أودو بدا من الاستنجاد بالدولة الميروفنجية، وكانت أمورها في يد شارل مارتل، بعد الغزو كان شارل مارتل هزم في معركة جولات في 732 تدعى معركة بلاط الشهداء وقعت 10 أكتوبر عام 732 م بين قوات المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي وقوات الإفرنج بقيادة قارلة أو تشارلز/ كارل مارتل هُزم المسلمون في هذه المعركة وقتل قائدهم وأوقفت هذه الهزيمة الزحف الإسلامي تجاه قلب أوروبا وحفظت المسيحية كديانة سائدة فيها.

الاستيلاء على طليطلة

بعد أن ظلت الدولة الإسلامية في الأندلس بضعا من الزمن متماسكة موحدة، بدأت تقام ممالك فرنجية في شمال إسبانيا المحررة مثل ممالك قشتالة واراجون ومملكة ليون والباسك قامت دولة بني ذي النون في

توليدو طليطلة وبدأ صراع مع ملك سرقسطة ابن هود ولجأ الطرفان يطلبان مساعدة ملوك أسبانيا المسيحيين وكان هؤلاء يساعدون المسلمين على بعض، مقابل الحصول على مال أو قلاع أو أراضٍ أو مدن واستمر النزاع بين طليطلة وسرقسطة من 1043 إلى 1046م وبعد فترة صراعات داخل البيت القشتالي انتهى بوحدة مملكتي قشتالة وليون تحت صولجان الملك الفونسو السادس وبعد أن استتب له الأمر، فرض حصار على توليدو في 1084م ولم يقم أحد بمساعدة إخوانهم المسلمين إلا المتوكل ابن الأفطس الذي أرسل جيشا كبيراً لنجدة توليدو، لكنه تعرض لهزيمة ساحقة ماحقة من الجيش المسيحي واستمر الحصار 9 شهور، إلى أن استبد الجوع بالناس ولم تفلح محاولات المسلمين في الوصول لتسوية لم يرضَ الفونسو سوى بتسلم المدينة كاملة، وفعلاً تم ذلك في 25 مايو 1085م، وتوجه إلى المسجد الكبير الذي حوله إلى كاتدرائية وصلى فيه قداس الشكر وصارت العاصمة لمملكة قشتالة الفرنجية وتم الاستيلاء عليها وتم منح المسلمين الحرية كاملة لمغادرة المدينة أو البقاء فيها وحرية التصرف في أملاكهم.

نهاية الممالك الإسلامية في الأندلس

قام المسيحيون بشن حروب لإعادة أيبيريا لهم في قرطبة 1236 و اشبيلية 1248 نهاية بسقوط دولة بني الأحمر في غرناطة سنة 1492 اتحدت مملكة ليون وقشتالة مع مملكة أراجون واستطاع الملك فيرناندیو والملكة إيزابيلا، استرجاع المدن الأيبيرية الواحدة تلو الأخرى إلى أن سقطت في أيديهم غرناطة آخر قواعد المسلمين سنة 1492.

سقوط الاندلس الفعلي:

ابتداءً من عام 895هـ شن الأسبان حربا متواصله لا هواده فيها انتهت بسقوط غرناطة وتوقيع وثيقه الاستسلام والسقوط عام 897 هـ 1492 م لتبدأ بعد ذلك فصول مأساة هي الافظع والأبشع في تاريخ أوروبا حيث قتل عدة ملايين من المسلمين تحت وطأه التعذيب في محاكم التفتيش وأجبر الباقون على التنصر وطويت صفحه دوله من أعرق دول الاسلام في التاريخ الاسلامي كله.

استغل الصليبيون مقتل ابن هود وأخذوا في الاستيلاء على بلاد الأندلس واحدة تلو الأخرى وساعدهم على ذلك اشتعال نار الفتنة بين أهل الأندلس الذين لم يتخلصوا منها على مر السنين؛ فالعصبية القبلية

كانت السبب المباشر لبلية تلك البلاد، وفي تلك الآونة العصيبة التي أخذت فيها قواعد الأندلس العظيمة مثل قرطبة وبلنسية ومرسية تسقط تباعاً في يد الصليبيين، في حين كان يؤثر الزعماء المسلمون الأصاغر مصانعة ملك قشتالة الصليبي والانضواء تحت لوائه.

كانت هزيمة الموحدين سنة 609هـ بالأندلس في معركة العقاب، إيذانًا بانهيار هذه الدولة القوية، الذي جاء مروعاً وسريعاً، واتسعت عليها الخروق في المغرب والأندلس بالثورات الداخلية المتكررة، وتطلع المسلمون في الأندلس لزعامة جديدة تلملم شعث دولة الإسلام في الأندلس، في ظل تخاذل حكام الموحدين، وفي هذه الفترة برز نجم قائد جديد وهو ابن هود الذي أعلن أنه سيقوم بتحرير الأندلس من نير الموحدين وعدوان الصليبيين.

سقوط لشبونه

كان قيام مملكة البرتغال الناشئة، واشتداد ساعدها في عهد ملكها ألفونسو هنريكيز، يمثل الخطر الجديد على قواعد الأندلس الغربية المتاخمة لهذه المملكة الجديدة، وكان ألفونسو هنريكيز حينما اضطربت شئون الأندلس، وعمت الفتنة قواعد الغرب، قد انتهز هذه الفرصة

للإغارة على القواعد الإسلامية المجاورة، وكان يتوق بالأخص إلى الاستيلاء على لشبونة لموقعها الفذ عند مصب نهر التاجُه، ولحصانتها.

سقوط طليطلة

قد تعرَّضت مدينة طليطلة لهجمات كثيرة من النصارى في عهد فرناندو الأول وابنه ألفونسو السادس، إضافة إلى غارات ملوك الطوائف المجاورة لها إثر النزاعات المتبادلة بينهم، وكان النصارى على علم بأن طليطلة واسطة العِقد في بلاد الأندلس، فلو سقطت فمِنَ المؤكَّد أن تسقط قرطبة وبطليوس وغرناطة وأشبيلية وهكذا تباعاً.

سقوط بلنسيه

بدأ حصار بلنسية في الخامس من شهر رمضان سنة 635 هـ أبريل سنة 1238 م وشدد النصارى في التضييق على المدينة المحاصرة، وبدأوا يضربونها بالآلات المخربة وكانت بلنسية، مذ هزمت قواتها، وسقط أبناؤها في موقعة أنيشة، قبل ذلك بأشهر قلائل، قد ساءت أحوالها، وانهارت قوي شعبها المعنوية وأخذت تتوقع سوء المصير.

سقوط غرناطه آخر معاقل المسلمين بالاندلس

لم يبق من دولة الإسلام هناك سوى بضع ولايات صغيرة في الطرف الجنوبي من الأندلس، قامت فيها مملكة صغيرة عُرفت بمملكة غرناطة، شاءت الأقدار لها أن تحمل راية الإسلام أكثر من قرنين من الزمان، وأن تقيم حضارة زاهية وحياة ثقافية رائعة، حتى انقض عليها الملكان المسيحيان: فرديناند الخامس وإيزابيلا، وحاصرا بقواتهما غرناطة في 12 من جمادى الآخرة 896هـ= 30 أبريل 1491 حصاراً شديداً

سقوط سرقسطة الأندلسية في ٣ رمضان٥١٢هـ

انقسمت الأندلس بعد سقوط الخلافة الاسلامية فيها إلى 22 دويلة، وكان على كل دويلة حاكم يتملكها له ولذويه وأبنائه، وانتسبت تسمياتها في معظمها إلى حكامها، فيقال مملكة بنو عباد، ومملكة بنو زيري، وبنو جهور، وبنو الأفطس، وبنو ذا النون، وبنو عامر، وبنو هود وغيرها، وأصبح المسافر يسافر مسافة يوم يقابل فيها 3 مملكات، كل مملكة عليها ملك، وكل واحد منهم تسمى باسم أمير المؤمنين، ولكل دويلة جيش وأعلام وسياج يحيط بها، ولقبوا تاريخياً بملوك الطوائف.

ووضع بعضهم لنفسه لقباً مميزاً، مثل المتوكل على الله، والناصر لدين الله، والمعتضد، والمعتمد وغير ذلك، الا أن بعضهم كان أبعد ما يكون عن ذلك الوصف، وكانت لكل ملك مجموعة من العلماء الموالين له يوهمون الناس أن هذا الملك خير للاسلام والمسلمين، وأنه ناصر لدين الله.

ولحماية ملكهم كانوا يدفعون الجزية لألفونسو ملك النصارى، فمنهم من كان يدفع الجزية نقداً، ومنهم من كان يدفعها بشراء البضائع بأسعار مبالغ فيها لاخفاء أمر الجزية.

وبلغ الخلاف بينهم أن عمد بعضهم لاسقاط بعض عن طريق التحالف مع ملوك النصارى، فمنهم من توجه إلى أمير قشتالة، ومنهم من توجّه إلى أمير أراجون، ومنهم من توجه إلى أمير ليون.

ومن بين ملوك الطوائف المتوكل بن الأفطس الذي رفض دفع الجزية، فأرسل ألفونسو رسالة تهديد ووعيد شديدة اللهجة إليه بوجوب دفع الجزية أو الغزو، فرد عليه المتوكل بقوله: وصل إلينا من عظيم الروم كتاب مدع في المقادير، وأحكام العزيز القدير، يرعد ويبرق، ويجمع تارة ثم يفرق، ويهدد بجنوده المتوافرة، وأحواله المتظاهرة، ولو علم أن لله جنوداً أعز بهم الاسلام، وأظهر بهم دين نبيه محمد عليه الصلاة

والسلام، أعزة على الكافرين، وفي سبيل الله يجاهدون ولا يخافون، بالتقوى يعرفون، وبالتوبة يتضرعون، ولئن لمعت من خلف الروم بارقة، فباذن الله، وليعلم المؤمنين، وليميز الله الخبيث من الطيب ويعلم المنافقين، أما تعييرك للمسلمين فيما هي أحوالهم، فبالذنوب المركومة، ولو اتفقت كلمتنا مع سائرنا من الأملاك، لعلمت أي مصاب أذقناك، كما كانت آباؤك تتجرعه، وبالأمس كانت قطيعة المنصور على سلفك لما أجبر أجدادك على دفع الجزية، حتى أهدى جدك احدى بناته إليه، أما نحن فان قلّت أعدادنا، وعدم من المخلوقين استمدادنا، فما بيننا وبينك بحر نخوضه، ولاصعب نروده، ليس بيننا وبينك إلا السيوف تشهد بحدها رقاب قومك، وجلاد تبصره في ليلك ونهارك، وبالله وملائكته المسومين نتقوى عليك ونستعين، ليس لنا سوى الله مطلب، ولا لنا إلى غيره مهرب، وما تتربصون بنا إلا احدى الحسنيين، نصر عليكم فيا لها من نعمة ومنة، أو شهادة في سبيل الله فيا لها من جنة، وفي الله العوض مما به هددت، وفرج يفرج بما نددت، ويقطع بما أعددت.

فتوجه ألفونسو بجيشه، ومن شاركه من ملوك الأندلس تحت قيادته، وهجم على طليطلة وحاصرها، وكل ملوك الطوائف قالوا لا شأن لنا بها، إلا المتوكل الذي أرسل جيشاً لمساندتها، ولكن سقطت طليطلة، وارتكبت

مجازر بحق أهلها، ثم تجاوزها النصارى لمهاجمة بني هود حلفائهم الأقربين فسقطت، فكان الطريق يؤدي إلى مملكة المعتمد بن عباد الذي شعر أن الخطر قادم، وأن ملك النصارى لن يرحمه، وملوك الطوائف لن يسعفوه، ولا مجال للنصرة والفرج إلا بطريق واحدة، وهي الاستعانة بالمرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين، والمرابطين وهم مجموعة كبيرة من الجيوش سخروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله، فقال ابن المعتمد: يا أبت ان استعنت بهم أخذوا مملكتنا، فقال المعتمد كلمته الشهيرة: والله لا يُسمع عني أبداً أنني أعدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى، فتقوم علي اللعنة في منابر الاسلام مثلما قامت على غيري، تالله انني لأوثر ان أرعى الجمال لسلطان مراكش، على أن أغدو تابعاً لملك النصارى وأؤدي له الجزية، والله لئن أرعى الابل في المغرب، خير لي من أن أرعى الخنازير في أوروبا..

واختلفت أوضاع العلماء من مكان لآخر، ومن زمن لآخر، فمنهم من بادر، وغامر، ونصح، ومنهم من آثر السلامة خشية الفتنة والظلم والجور على العباد، ومنهم من هادن وجامل، ومنهم من دارى واختفى، كل يرى المصلحة في اتجاه، فتفرق العلماء، وتفرقت الأمة.

ومما اطلعت عليه هذه التجربة الفريدة لثلة من علماء الأزهر بمصر، رفعوا خطاباً إلى السلطان عبدالحميد الثاني، يناشدونه تطبيق الشريعة، وتعظيم حرمات الإسلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وذلك في 29 رمضان عام 1296هـ، وقبل سقوط الخلافة بـ30 سنة.

قالوا فيها باختصار:

إنا نرى ما ابتُلي به دين محمد، وعُرى المُلك الإسلامي من الضعف ، وكثرة التضجر، وإظهار التحسر، وكساد الأسواق، وقلة البركة في الأرزاق وغيرها، واشتداد الأمر، وازدياد القهر، وكثرة العناد والتعب، والشدائد والكرب، إنما هو لتهاون الناس بأوامر الله ونواهيه، فأحلوا معاصيه بالعكوف عليها، والتجاهر بها، وأخلوا أمر الشرع بالتهاون بها، وجعلها نسياً منسيا، واتباع عادات الإفرنج والكفرة، والافتخار بتحصيلها، وترك سنة محمد، حتى فشت المنكرات والمعاصي في الأقطار، وصارت ديدن الأعيان والعوام، والصغار والكبار، ولا يوجد مُنكِرٌ ولا زاجر، وما فشت المعصية في قوم إلا حل بهم الوبال، وشدد عليهم النكال، وأُخذوا بقهر السلاسل والأغلال، ورُموا بسوء الحال.

وقد جاء في الأثر: إذا خفيت المعاصي لم تضر إلا أصحابها، وإذا ظهرت ضرت العامة، وفي الحديث لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم، فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم.

وما اضمحل الدين والدولة، وفسدت الدنيا والآخرة، إلا بالتهاون في أمر الشريعة المحمدية، وعدم المحافظة على حقوقها، وقد قال تعالى: {ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون}، وقال: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}، وقال: {إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم}، أي إن تنصروه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وقتال أعدائه، ينصركم عليهم ويثبت أقدامكم في قتالهم، وإلا يخذلكم وينعكس الأمر، ويزلزل أقدامكم.

وقد ظهرت المعاصي ظهور الشمس في رابعة النهار، وفي جميع البلدان والأقطار، من المنكرات وأنواع الكبائر والمحرمات، التي تكون سبباً لعموم البلاء، وكسر شوكة المسلمين وغزوتهم وقهرهم وخراب بلادهم، وتسليط العدو، وتشتيت القلوب، وعدم طاعة العامة إلى الأكابر، والرعية إلى الأمير، ووقوع الاختلاف والفتنة فيما بينهم، وقلة المطر والنبات، والقحط والغلاء، وكثرة الموت والوباء، وعدم قبول الدعوات.